الأسوار .. والأسوار

في ساحة المدرسة جمع المدير الطلاب والمعلمين والإداريين والمستخدمين، وهم وقوف تحت شمس تموز، أخذ يخطب فيهم، وهو يقف وحده في الشرفة الظليلة، تكلم فقال:

- أيها الطلاب الأعزاء، أيها الزملاء المعلمون الأعزاء، أيها الإداريون والمستخدمون الأعزاء، هذا هو صرحكم، وهذه هي مدرستكم، إننا على وشك اتخاذ قرار خطير، يمثل منعطفاً في تاريخ هذا الصرح الحضاري، لا أريد أن أطيل عليكم، ولكن لا بد من مقدمة تاريخية، لإدراك حقيقة التاريخ، وطبيعة العوامل المؤثرة فيه، والقوى الفاعلة، أيها الأعزاء، عند إنشاء هذه المدرسة، تم بناء سور حولها، وكان هذا السور من حجر، هذا هو العصر الحجري، وإذا الطلاب محاصرون ومخنوقون، وإذا المدرسة مثل سجن الباستيل، هل تعرفون لماذا كان السور حجرياً ؟ لعلكم لا تعرفون، بالعودة إلى الوثائق والسجلات تبين لنا أن السور قد كلف في ذلك العهد ما يمكن به بناء

مدرستين اثنتين لا مدرسة واحدة، نعم، بتكاليف السور وحده وفق ما هو مسجل رسمياً في الدفاتر، ولقد كان المتعهد الذي بنى السور هو ابن خالة المدير.

ضحكت شمس تموز، فازداد لهيبها.

وضج الطلاب والمعلمون والإداريون والمستخدمون بالهتاف والتصفيق، وأعلنوا إدانة العهد البائد، وحيَّوا المدير الجديد.

وتابع المدير كلامه وهو يقف وحده في الشرفة الظليلة، فقال:

- وبين عشية وضحاها وإذا السور الحجري يتحول إلى سور برونزي، هذا هو العصر البرونزي، هل تعرفون لماذا تم هدم السور الحجري ورفع سور برونزي مكانه؟ هذا هو اقتراح المدير الجديد، لا لشيء، إلا لأنه كان يملك ورشة صغيرة لتصنيع البرونز وسبكه.

ضحكت شمس تموز، فازداد لهيبها. وضج الطلاب والمعلمون والإداريون والمستخدمون بالهتاف والتصفيق، وفي الشرفة الظليلة، تابع المدير كلامه فقال:

- ثم جاء عصر الألمنيوم، ورفع السور البرونزي ووضع بدلاً منه سور من ألمنيوم، وقد تم هذا في عهد

مدير جديد، كان أخوه المتعهد الذي تولى وضع سور الألمنيوم.

ضحكت شمس تموز، فازداد لهيبها. وضج الطلاب والمعلمون والإداريون والمستخدمون بالهتاف والتصفيق، وفي الشرفة الظليلة، تابع المدير كلامه فقال:

- وفي المرحلة السابقة، قبل أن أتولى الإدارة، كان المدير السابق من أعز أصدقائي، هو سمح شهم كريم، نزيه أبيّ مستقيم، لا يمكن أن يذكره أحد إلا بالخير، ولكن الإدارة من حوله كانت فاسدة: أمين السر ومراقب الدوام والمعتمد وأمين الصندوق ورئيس لجنة الشراء،وعلى رأسهم المعاون الأول للمدير، وتم بين عشية وضحاها استبدال سور الألمنيوم بسور آخر من بلاستيك، لا لشيء، إلا لأن معاون المدير كان يملك معملاً للبلاستيك.

خجلت شمس تموز، فتصببت عرقاً، ثم مالت قليلاً، ومنحت الطلاب والمعلمين والإداريين والمستخدمين بعض الظل. وضج هؤلاء بالهتاف والتصفيق. وفي الشرفة الظليلة، تابع المدير كلامه فقال:

- واحترقنا واختنقنا كما ترون داخل سور البلاستيك، إلى أن شاءت العناية الإلهية أن أكون

المدير الجديد، لقد أرسلني الله تعالى رحمة لكم، لأخلصكم من هذا السور البلاستيك.

أشفقت شمس تموز على الطلاب والمعلمين والإداريين والمستخدمين، وكادت تبكي، ثم مالت لأجلهم أكثر، فمنحتهم قدراً أكبر من الظل. ولكن هؤلاء لم يبالوا بها، فقد كانوا منهمكين في الهتاف والتصفيق. وفي الشرفة التي فقدت نصف ظلها، تابع المدير كلامه فقال:

ـ أنا ليس عندي مقلع للحجارة ولا معمل للحديد ولا ورشة لتصنيع الألمنيوم ولا عند خالي ولا عمي معمل للبلاستيك.

أسقطت شمس تموز لهيبها على الشرفة كلها، فكشفت المدير، وكادت تصهره، وتخطف عينيه، وبدا كالعاري، فأسرع ثلاثة من الإداريين فغطوه بأجسادهم، ومسحوا جبينه، ورفّوا بأيديهم فوقه.

وضج الطلاب والمعلمون وباقي الإداريين بالهتاف والتصفيق، وقعد على الأرض وراء الصفوف الأخيرة بعض المستخدمين واستلقى بعضهم الآخر فقد ملوا من الوقوف وتعبوا. وفي الشرفة المكشوفة، تابع المدير كلامه فقال:

ـ الآن سنقتلع الأسوار كلها، لا أسوار بعد اليوم.

ارتفعت قتامة من صهد وغبار فغطت وجه الشمس، فتكدرت، وأغمضت عينيها خوف القذى، ولكنها ظلت تسمع.وضج الطلاب والمعلمون والإداريون والناس المحتشدون في الشارع بالهتاف والتصفيق. وفي الشرفة المعتمة المغبرة تابع المدير كلامه فقال:

ـ ولكن كي نجاري روح العصر، وندخل في القرن الحادي والعشرين ولكي ننتمي إلى الحضارة ونأخذ بأسبابها، قررت أن نحيط المدرسة بسور لا يعرف أحد بدايته من نهايته ولا يعرف أحد مداخله من مخارجه لأنه لا يرى هو سور إلكتروني يعمل بالليزر وفق أحدث أجهزة التحكم بالأقمار الصناعية تم استيراده من الغرب المتحضر كي نطور به مدرستنا ونبني جيلاً ينتمي إلى الحضارة وندخل به القرن الخامس والعشرين.

وانتصبت في ساحة المدرسة حلقات الرقص، رقص الطلاب رقص المعلمون رقص الإداريون، ثلاثة طبول حضرت على الفور وأخذت تضرب، لا أحد يعرف كيف حضرت الطبول الثلاثة، كأنها كانت على موعد.

وافتقد الناس المستخدمين، ظنوا أنهم شغلوا بجمع بقايا السور البلاستيكي المحطم المكسور.

بعد بضعة قرون، ربما خمسة، كشف أحد المستخدمين، بالتعاون مع باقي المستخدمين، عن وثيقة سرية تدين مدير العصر الإلكتروني ولا يمكن نشرها إلا بعد خمسة قرون أخرى.